من أســرار الهِجـــرة

لفضيلة الشيخ / سميـر بـن مُصـطـفى

خطبة : مسجد الـحق (حلـوان)

٢٠ ذو الحجـة ١٤٣٤هـ

١٨ أُكتـوبـر ٢٠١٣ م

[الخطبة الأولـى]

إنَّ الْحَمْدَ للهَّ تعالى نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُ به وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهَّ تعالى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُّ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عِمْرَان:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النِّسَاء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الْأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كلامُ اللَّه تعالى، وَأَحسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فهذا عامٌ فات أيُّها الإخوة أو كاد ، عامٌ هجريٌ يَتجدَدُ إن شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فى الأيامِ القَلِيلَةِ القَادِمَةِ ،و فى كُلِّ عَامٍ هِجري حِينَ يَنظُرُ المرءُ فى أَثَرِهِ فَيَجِدُ فى هذا العامِ عَبرَ حَادِثَةِ الهجرَةِ و ما يَسبِقُهَا من تاريخٍ أَشياءَ عِدَّة ، و فائِدَةً جَدِيدَةً تَتَجَدَّدُ له حين يَدرِى كيف يَضَعُ رِجلَهُ فى سَيرِهِ إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فَلَيسَ الأمرُ مَعقُودًا أيُّها الإِخوَةُ على أَن يَنظُرَ المَرءُ الطَّرِيقَ فَحسب و إِنَّما كَيفَ سَتَسِيرُ إلى الله ، فالطَّرِيقُ مُتَشَعِّبَةٌ شَأنُهَا كَشَأنِ الطُّرُقِ التِى أَتَيتُم منها الأن رُبَما كان الدَّالُّ مُخطِئاً فَأخطَأَكَ الطَّرِيقَ على مَدَى حَيَاتِك لا يَعُودُ المرءُ مِنهُ وهو يَظُنُّهُ صَوَاباً.

نَسأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يَهدِيَنَا هِدَايَةً من عِندِه .

قالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فى صَحِيحِ مُسلِمٍ :

(سَلِ اللهَ الهِدَايَةَ والسَّدَادَ و اذكُر بِهِدَايَتِك هِدَايَةَ الطَّرِيقِ)

نَسأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يَهدِيَنَا و إِيَّاكُم سَوَاءَ السَّبِيلِ .

الهِجرَةُ أَيُّهَا الإِخوَةُ ، وَمِمَّا يَلُوحُ فى حَدِيثٍ مَشهُورٍ جِدّاً لَكِن رَبطَهُ كَان غَرِيباً عَجِيباً فى هذا العامِ و هو الحَدِيثُ الذِّى أَودَعَهُ البُخَارِىُّ صَحِيحَه قَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ :

(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُّ عَنْهُ)

و الفَائِدَةُ فى شِقِّهِ الثَّانِى (الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ) إِنَّهُ لا يَنفَكُّ أَحَدٌ مِنَّا أَيُّهَا الإِخوَةُ و ذَا وَجْهُ الرَّبط لا يَنفَكُّ أَحَدٌ مِنَّا قَطُّ عَن رُتبَةٍ مَأمُورٌ هُوَ بِهَا لَمْ يُحَصِّلْهَا فى الإِسْلامِ، أَو عَن ذَنبٍ قَد نُهِيَ عَنهُ فاعتَقَبَهُ و سَقَطَ فِيهِ واقتَرَفَهُ فَلا يَنفَكُّ أَحَدٌ مِنَّا مِن هَجَرَ ذَنبٍ إِلَى تَوبَةٍ .

فَكُلُّ مَا شَرَعَ المَرْءُ فى تَوْبَةٍ شَرَعَ قَبلَهَا فى هِجرَةٍ فَيَذْكُرُ بِهِجرَةِ رُوحِهِ الهِجْرَةَ القَدِيمَةَ التَّامَةَ حِينَمَا هَاجَرَهَا الرَّعِيلُ الأَوَّلُ بِأَبدَانِهِم وأَزْوَاجِهِم جَمِيعًا وَجْهُ لِلرَّبْطِ لَاحَ هَذَا العَام المُهَاجِرُ الذِى يَهجُرُ المَعْصِيَةَ دَوْمًا لا يَنسَى الهِجرَةَ أَبَدًا لأَنَّهُ يَذكُرُ بِذَلِكَ هِجرَةَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ.

و حِينَمَا يُرِيدُ المَرْءُ أَن يَتَحَدَّثَ عَنِ الهِجْرَةِ الأُولَى أَيُّهَا الإِخْوَة فى صَدرِ الإِسلَامِ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يَتَحَدَّث عَنْهَا سَاذِجَةً بِحَادِثَتِهَا فَقَط وَإِنْ كُنَّا نَقَعُ فى ذَلِكَ عَلَى مَرِّ زَمَنٍ إِنَّمَا حِينَ يُمْعِنُ المَرْءُ فى التَّارِيخِ و السِّيرَةِ يَرَى أَنَّ حَادِثَةَ الهِجْرَةِ إِنَّمَا هِىَ كَبَابٍ أَغْلَقَ عَلَى حُقْبَةٍ قَدِيمَةٍ مُكَوَّنَة مِن ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَاماً قَضَاهَا النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِى فِيهَا قَوَاعِدَ الإِسلَام .

وَ مِمَّا يَعْجَبُ المَرْءُ مِن كَلَامَ الأُصُولِيِّينَ أَنَّهُم يَقُولُونَ لَا يُحكَمُ عَلَى آيَةٍ مَدَنِيَّةٍ إِلاَّ بِالرُّجُوعِ للأَىِ المَكِّيِّ فَإِنَّ أُصُولُ الإِسْلَامِ مُودَعَةٌ فى القُرْآنِ المَكِّيِّ الذِى كَانَ قِبلَ الهِجْرَةِ شَيْءٌ عَجِيبٌ أَيُّهَا الإِخْوَة.

كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حِقْبَةِ الاسْتِضْعَافِ يَضَعُ أُصُولَ الإِسْلَام ،

فَكَيْفَ لَا يَسْتَطِيعُهَا أَوْلَادُهُ وَأَحْفَادُهُ ؛ وَ قَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّمَا أَنَا لَكُم بِمِثَابَةِ الأَبِّ).

وَمَن شَابَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ أُمَّهُ وَ صَححَ نَسَبَهُ ، يَضَعُ أُصُولَ الإِسْلَام فى المَرحَلَةِ المَكِّيَّةِ لِذَا اشْتَمَلَت الهِجْرَةُ عَلَى مَشَاهِدَ عَظِيمَةٌ أَيُّهَا الإِخْوَة كَبِيرَةٌ جِدَّاً كَمَا قُلْتُ تُحسِنُ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ تَضَعَ قَدَمَكَ عَلَى الطَّرِيقِ حَيْثُ سَتَدْرِى يَوْمَهَا فِي أَيِّ مَوْضِعٍ سَتَضَعُ قَدَمَكَ.

نَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَهْدِينَا وَ إِيَّاكُم إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

الهِدَايَةُ أَمْرٌ مُعْوِزٌ و الاسْتِقَامَةُ عَلَى أَثرِهَا : وَهِىَ مَجْمُوعَةُ مَشَاهِدَ قَلِيلَة مِنْ مَشَاهِدَ كَثِيرَة فى الهِجْرَةِ أَسْتَطِيعُ فَقَط مِنْ خِلَالِهَا أَنْ أَسْتَقرِأَ وَاقِعَنَا وَ أُعَالِجَهُ ،وَ لَمْ يَزَلْ المَرْءُ يُعَالِجُ وَاقِعَاً أَيُّهَا الإِخْوَة مُتَقَابِل مُذْ سِنِينَ قَرِيبَة وَلَعَلَّ مَنْ تَابَعَ يَلْحَظُ هَذَا فَمَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا تَقَلَّبَ فِيهِ الحَالُ لَا أَقُولُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بَلْ مُنْذُ سِنِينَ قَرِيبَة ،وَ الأَحْوَالُ مُضْطَرِبَة كَرِيشَةٍ فى الهَوَاءِ تَضْطَرِبُ عَلَى الشَّرِيعَةِ اضْرَاباً بِحَيْثُ إِذَا أَرَادَ المَرْءُ أَنْ يَقِيسَهَا عَلَى الشَّرِيعَةِ فَكَثِيرٌ مِنْ أَحْوَالِهَا تَنْأَى وَ تَنِدُّ وأَعْذُرْنِى إِنْ كَانَ الكَلَامُ مُبَاشِراً ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَنْبَغِى للمَرْءِ أَنْ يُشِيرَ بِسَبَّابَتِهِ هَذِهِ إِلَى مَوْضِعِ المَرَضِ وَ العَطَبِ ثُم مَا تَلْبَثُ السَّبَّابَةُ مِنْ أَنْ تَنْجَمِعَ إِلَيْهَا الأَصَابِعُ الأَرْبَعَةُ لِتَكُونَ يَدُ التَّغْيِيرِ وَ مَا أَرْسَلَ اللهُ عز وجل نَبِيّاً وَ مَا نَهَضَ فى أُمَّتِهِ مُصْلِحٌ قط إِلَا وَوَضَعَ أُصْبُعَهُ عَلَى مَوْضِعِ الدَّاءِ ؛ لِيَجْتَثَّهُ بِمَا يَلِيقُ مِنَ الشَّرِيعَةِ مِن دَوَاءٍ، نِسْأَلُ اللهَ عَزَّوَ جَلَّ أَنْ يُدَاوِينَا وَإِيَّاكُم بِدَوَائِهِ

مشاهدُ الهجرة:

أَيُّهَا الاخوَةُ الهِجرَةُ العَمَلُ الجَلِيلُ ، العَمَلُ العَظِيمُ ، العَمَلُ المضنِى، إِيَّاكَ أَنْ تِظُنَّ أَنَّ الهِجْرَةَ هِىَ مَسْأَلَةُ عِزَال :انسَان عَزَّل خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ هَذَا إِلَى مَا يُشْبِهُهُ لَكِنْ فى بَلْدَةٍ مُجَاوِرَةٍ أَبَدَاً ،

وَ إِنَّمَا كَانَت الهِجرَةُ عَمَلِيَّةٌ جِهَادِيَّةٌ شَدِيدَةٌ شَدِيدَةَ الوَقعِ عَالَجَ فيهَا رَسُولُ الله وَ أَصحَابُه اللّأْوَاء والنَّاظِرُ بالعَيْنِ الُمجَرَّدَة دُونَ أَنْ يَعبُرَ إِلَيهَا مِنَ الشَّرِيعَةِ يَعْلَمُ أَنَّهَا عَمَلِيَّةٌ تَجتَثُّ أَصْحَابَهَا وَ لَا يَسْتَطِيعُ أَصحَابُهَا الفَلَاحَ أَبَدَاً ، تَغيِيرُ طَقسٍ وَ جَوٍّ وَ بِلَادٍ وَ مَشَاعِرِ بِلَادٌ دَرَجَ النَّاسُ عَلَيهَا

وَعَاشُوا فِيهَا وَ صَاحَبُوا أَقْرَانَهُم فيها وَ أَوْدَعُوا فِيهَا تَارِيخَهُم و بَينَ عَشِيَّةٍ وَ ضُحَاهَا يُقَالُ اذهَبُوا إِلى بَلَدٍ لَا يَعرِفُونَ عَنهَا إِلَّا المَعَالِمَ العَرِيضَة ، حتى دَخَلَ أَصحَابُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الى المَدِينَةِ وَ كَانَت قَبلُ مَوطِنَ الحُمَّى فَلَمَّا دَخلُوا تَسَاقَطُوا كَمَا يَتَسَاقَط القَطَا عِندَ الوَبَا فَسَقَطَ بِلَالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى فِرَاشِ المَرَضِ يَشْتَمُّ المَوتَ حَتَّى ظَنَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَيَمُوتُ وَ سَقَطَ بِلَالٌ أَيضًا وَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى كَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَنظُرُ الى حَرَارَتِهِ وَ حَالِهِ وَ يَرْتَجِزُ ارْتِجَازًا لا يَزَالُ التَّارِيخُ يَئِنُّ مَعَهُ إِلَى الأَنِ لِتَعْلَمَ قَدْرَ التَّضْحِيَةَ لِإِعْلَاءِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَ الدِّيَانَةِ وَ صَبِّ النَّظَرِ صَوْبَهَا و نَحْوَهَا نظرًا صَحِيحًا ، كَانَ يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَل أَبِيتَنَّ لَيْلَةً فى جَوْفِ قَبرٍ حَولِى اذْخِرٌ وجَلِيلُ) قَارَبَ أَن أَمُوتَ و كَأَنَّنِى أَشْتَمُّ القَبرَ وَ كَأَنَّنِى أَنظُرُ إِلى الذِينَ يَدفِنُونِى مُتَأَكِّدٌ أَنَّنِى لَن أَقُومَ مِن هَذِهِ الحُمَّى ، و الحُمَّى نَصِيبُ العَبدِ من النَّارِ فى الدُنيَا كَمَا أَخبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانظُر إِلى دَائِهَا دَوِيَّاً ؛ تَغْيِيرُ طَقسٍ وَ بِلَادٍ وَأَصْحَابٍ و عَشِيرَةٍ حَتى قَامَ سَيِّدُ الثَّابِتِينَ الْمُهْتَدِينَ عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ يَنظُرُ إِلى مَكَّةَ فى أَرْجَائِهَا وَ لَا يَملِكُ دَمْعَ عَينِهِ وَ هُوَ يَقُولُ (وَ الله ِ لَأَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ الله الى الله ِ و إِلىّ وَلَوْلَا أَنَّ قَومَكِ أَخرَجُونِّى مِنكِ مَا خَرَجْتُ لَوْلَا ذَلِكَ مَا خَرَجْتُ)

لَوْلَا ذَلِكَ مَا خَرَجتُ أَحَبُّ إِلى رَسُولِ الله و هِىَ أَحَبُّ أَيضًا إِلَينَا نَسأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُصلِحَهَا و مَا طَرَأَ عَلَيْهَا ، تَأَمَّلْ جَيِّدًا الهِجْرَةُ أَيُّهَا الإِخْوَة حَالَةٌ شَدِيدَةٌ عَنِيفَةٌ إِنَّمَا كَانَت فَرْعَاً عَلَى مَا تَأَصَّلَ قَبْلَهَا ثَلَاث عَشْرَةَ عَامًا مِنَ النِّضَالِ الجِهَادِ وَ الْمُثَابَرَة و العَمَلِ الدَءُوبِ مِنَ النَّظْرَةِ الثَّاقِبَةِ وَ الثَّبَاتِ عَلَى الأُصُولِ فَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَرَونَ أَنَّ جَبَلَ أُحُدًا يَهْتَزُّ وَ أَنَّ رَضْوَى و ثَبِيرَ يَسْقُطَانِ وَ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ أَصحَابِ رَسُولِ الله يَترُكُ أَصلًا مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ لَا يُمكِن ، يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ الجِبَالَ تَتَحَرَّكُ وَ لَا يَتَحَرَّكُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله عَن مَذَاهِبِهِم وَ لَا عَنْ أَقْوَالِهِم وَ لَا عَنْ مَوَاقِفِهِم وَ لَا عَن شَرِيعَتِهِم فَكَانَ ثَبَاتُهُم أَكبَرُ دَاعٍ لِهَؤُلَاءِ حَتَّى قَالُوا بَعضَ أَهْلِ العِلْم :

(إِنَّ أَيَّامَ حَبسِ شِعْبِ أَبِى طَالِب) يَوْمٌ سُجِنَ رَسُولَ الله وَ أَصْحَابُهُ فِيهِ وَ قُوطِعُوا مِن كُل وَجهٍ وَ صَارُوا شَعْبَاً وَ صَارَ غَيرُهُم شَعباً أَخر (جَاهِلِيَّةٌ تَتَجَدَّدُ) .

يومَهَا كَانَ ثَبَاتُهُم عَلَى مَا هُم عَلَيهِم مِنَ الأُصُولِ يُشَابِهُ ثَابَتِهُم يومَ بَدر (يومَ بَدر) تَأَمَّل جَيِّدَاً مَوَاقِفَ الهِجرَةِ الهجرَةُ العَظِيمَةُ الجَلِيلَةُ مِنْ مَوَاقِفِهَا أَنَّ الاسْلَامَ يَنْمُوا شَيْئَاً فَشَيْئَاً بِبُطْءٍ،

لَا تَظُنَّ الأَمْرَ الكَبِيرَ يُستَصلَحُ بَينَ عَشِيَّةٍ وَ ضُحَاهَا فَإِنَّهُ إِنْ اسْتُصْلِحَ فِي سَاعَةٍ مِن نَّهَارٍ تَرَكَهُ أَصْحَابُه فى سَاعَةٍ مِن نَهَارٍ وَ هَذَا مَا فِهِمَهُ الزُّهْرِىُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقَالَ عَلَى فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ وَ هُوَ عِلْم أُصُولِ الحَدِيثِ وَ حِفْظِ رِوَايَتِهِ قَالَ :- مَنْ طَلَبَ الحَدِيثَ جُمْلَةً فَاتَهُ جُمْلَةً.

مَنْ ظَنَّ أَنْ يَأْخُذَ الحَدِيثَ فِي يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ سَقَطَ مِنهُ فى يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ بَل أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ فَكَانَت سُنَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ كَامِنَةً فى أَنْ يَطُولَ المَدَى وَ الأَيَّامُ وَ يَعْظُمَ الصَّبرُ عَلَى أَثَرِ المَرَارِ حَتَّى إِذَا مَاقَبَضْتَ بِيَمِينِكَ شِيْئَاً لَا تُفْلِتُهُ وَمَا أَفْلَتَ مَنْ أَفْلَتَ إِلَّا لسُهُولَةِ مَا طَرَأَ فى يَمِينِهِ نِسْأَلُ الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَحْفَظَنَا وَ يُحَافِظَنَا .

تَأَمَّلُوا أَيُّهَا الاخوَة الإيمَانُ لَيْسَ أَنْ يَسْتَجْلِبَ المَرْءُ الإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ فَقَط وَإِنَّمَا لَهُ قُوَّةٌ أُخْرَى أَنْ إِذَا حَصَلَتَ عَلَى قَدْرٍ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ تُحَافِظَ عَلَيْهِ ؛ قُوَّةُ الحِفْظِ التِّى تُسَامِى وَتُسَاوِى قُوَّةَ الجَلْبِ ، فَإِنْ قُمْتَ لِتُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ أَوْ جَلَسْتَ لِتَسْمَعَ وَعَظ فَأَحْسِن فى سَمَاعِكَ وَ صَلاتِكَ ثُم إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بَيْتِكَ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنقُضَ مَا حَصَّلْتَ مِن إِيمَانٍ وَ إِلَّا فتكُونُ كَالذِى يَحرِثُ فى المَاءِ لَا يُجَرِّفُ مِنْهَا شَيْئَاً وَ لَا يَغرِسُ فِيهَا غَرسَاً .

تَأَمَّلْ ثَلَاث عَشْرَةَ عَامَاً وَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ فى أَعْوَامِهِ الأُولَى القَلَائِلِ أَيَّامٌ و سِاعَات يِأْخُذ فِيهَا الرَّجُلُ تِلْوَ الرَّجُلِ فَمَا بَدَأَ الإِسْلَامُ اِلَّا بِأَرْبَعَةٍ، بَدَأَ الإِسْلامُ بِرَجُلٍ وَ امْرَأَةٍ وَ صَبِيٍّ وَ مَوْلَى وَتَأَمَّلْ فَهَذَا الكَلَامُ نَسْمَعُهُ إِنْ دَرَسْنَا السِّيرَةَ كَثِيرَاً لَكِنَّنَا لَا نُدَقِّقُ فِيهِ.

بَدَأَ الإِسْلَامُ بِسَيِّدِ الرِّجَالِ بَدَأَ الإِسْلَامُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأَمَّلُوا أَيُّهَا الإِخوَة كَيْفَ أَقُولُ بَدَأَ الإِسْلَامُ بِهِ وَهُوَ مَنْ جَاءَ بِهِ إِنَّمَا أَقُولُ مَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَ هُوَ يُقَرِّرُ لَنَا سُبْحَانَهُ وَ بحَمْدِهِ أَنَّ أَوَلَ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ هُو مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِالله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ أُرِيدُكَ بِكُلِّ أَنْ تَعِيَ هَذَا جَيِّدَاً أَوَّل مَنْ أَمَنَ بالرِّسَالَةِ هُو صَاحِبُ الرِّسَالَةِ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ آمَنَ الرَّسُولُ آمَنَ بِمَا هُوَ عَلَيه وَ أَيْقَنَ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَوْ اجْتَمَعَ الثَّقَلَانِ عَلَى أَنْ يُتَعْتِعُوهُ مَا تَتَعْتَع ؛ وَ لِذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حِينَمَا تَهَجَّمَ عَلَيهِ الكَافِرُونَ فى حَلِّ مُعْضِلَةٍ كَانَت الجَاهِلَيَّةُ المُتَوَحِّشَةُ تَطْلُبُ مِنهُ آيَةً خَارِقَةً وَ كَمَا سَيأتِى لَمَّا حَدَثَت الآيَةُ كَفَرُوا أَيْضَاً مُتَوَحِّشُونَ بَادِيَةَ قَوْمٍ لَا يَشْعُرُونَ فى دَاخِلِهِم بِالَمدِينَةِ أَبَدَاً وُحُوش .

فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ فَانتَظَرْتُ الجَوَابَ وَرَاجِعهُ فِي سُورةِ الرَّعْدِ يُسْئَلُ مَرَتَينِ ، فَانتَظِرِ الجَوَابَ تَرَى الجَوَابَ مُخَاطِبَاً رَسُولَ الله دُونَ الكَافِرِينَ لَمْ يَقُلْ لَهُم كَيفَ وَ إِذَا نَزَلَت الآيَةُ فَلا تُؤْمِنُوا لَا أَبَدًا ،إِنَّمَاخَاطَبَهُ فِي شَيئٍ أَخر قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

اللَّهُمَّ فَهِّمْنَا القُرآنَ وَعَلِّمنَا القُرآنَ وَ حَفِّظْنَا القُرآنَ وَآنِسْنَا بالقُرآنِ وَ ادفعْ عَنَّا الفِتَنَ بِالقُرآنِ تَأَمَّلُوا أَيُّهَا الإِخوَةُ،الكُفَّارُ يَتَهَكَّمُونَ بِآيَةٍ وَ هَذَا الكَلَامُ وَهُوَ وَ إِنْ كَانَ لِرَسُولِ الله إِنَّمَا لله عَزَّوَجَلَّ رَأْسَاً لأَنَّهُ لَا يُنْزِلُ الآيات إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَقَالُوا لَولَا أُنزِلَ

عَلَيه آيَةٌ خَارِقَةٌ مِن رَبِهِ فَخَاطَبَ اللهُ نَبِيَّهُ لَيَقُومَ إِزَاءَهُم بَأَى عُدَّةٌ أَن تُوقِنَ فِيهَا أَنتَ عَلَيهِ مِن دِينٍ أَنت مُستَيْقِنٌ بِهَا أَنْتَ عَلَيهِ مِن شَرِيعَةٍ أَوْ لَا؟

(مُتَأَكِّدٌ وَ لَّا لَازِلْتَ شَاكًّا ؟ بحَيثُ اِن نُوقِشْتَ تَرَكْتَ) كَمَا قُلْتُ يَزُولُ (جَبل) أُحد لَكِن لَا يَزُولُ مُحَمَّدٌ وَ أَصْحَابُهُ لَا يَزُولُونَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ والخِطَاب ده إِجْمَاعَاً فى يَومِ أُحُدٍ يَعنِى لَمَا هُزِمَ الْمُسْلِمُونَ وَ قُتِلُوا قَتْلَةً شَنِيعَةً كَمَا تَعْلَمُونَ مِن يَوم أُحُد .

(طب) مَا هُو مَنَاطُ العُلُو أَى رَبَنَا ؟كَيفَ أَكُونُ أَنَا الأَعلَى وَ أَنَا قُتِلَ عِندِى سَبعُونَ رَجُلاً الرَّجُلُ بِأُمَّةٍ فى فَضلِهِ كَيفَ يَكُونُ أَنَا الأَعلَى ؟وَ أَبُو سُفيَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَالَ كَانَ كَافِرَاً يَجُولُ بفَرَسِهِ فى حَوْمَةِ الوَغَى و يصُوولُ وَ يُنَادِى: اعلُ هُبَل أَينَ مُحَمَّدٌ ؟أَينَ ابن أَبِى قُحَافَة ؟أَينَ ابن الخَطَّابِ ؟ الحَرْبُ سِجَالٌ يَومٌ كَيَوم بَدرٍ .

أَينَ وَهُم يَتَلَمَّظُونَ وَ يَتَضَاحَكُونَ و يَفتَخِرونَ وَ يُقَاطِعُونَ أَينَ العُلُو قَالَ أَنْ المَنَاطَ أُخروىٌّ فَإِنْ جَاءَكَ مِنهُ طَرفٌ فى الدُّنيَا فَإِنَّهُ لَيسَ القَاعِدَةُ وَ إِنَّمَا يُشِمُّكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن رَحمَتِهِ اللَّهُم أَنعِم عَلَيَّ بِرَحمَتِكَ المَنَاطُ أَيُّهَا الإِخوَةُ أَنَّ نَجَاةَ الْمُؤمِنِ مَعقُودَةً بِالآخِرَةِ ؛ وَ لِذَلِكَ لِأَوَلِ مَرَّةٍ يَفْهَمُ المَرْءُ هَذِهِ الآيَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَفهَمُ هَذِهِ الآيَةَ حِينَ كُنَّا نَسْتَخْدِمُهَا مِنْ قَبْلُ فى غَيرِ مَوْضِعِهَا

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾احنَا كُنَّا نَذْكُرُ هَذِهِ الآياتِ فِي قُبَيلِ التَّمْكِينِ (مش كده) نَقُولُ يُزَلْزَلُ المَرءُ حَتَّى يُمَكَّنَ إِنَّمَا إِذَا نَظَرْتَ فى صَدرِ الآيَةِ قَالَ اللهُ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾

مِش تُفَكِّرُوا فى الدُّنيَا فَإِنَّمَا أَنتَ تَصبِرُ وتُزَلْزَلُ وَ تُعَذَّبُ وَ تَجِدُ لَكَ الأَحَادِيث لِأَجلِ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ عَينُكَ بِالجَنَّةِ مَعقُودَةٌ و لَيسَت بَشَيءٍ فى الدُّنيَا فَإِنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَينَا فى الدُّنيَا بِشَيءٍ فَلَهُ الحَمدُ والمِنَّةُ إِنَّمَا أَمَلِى وَ قَلْبِى مَعقُودٌ عَلَى الآخِرَةِ تَفَقَّهْ هَذَا جَيِّدَاً تَفَقَّهُوا أَيُّهَا الإِخوَةَ افْقَهُوا جَيِّدَاً لِيَكُن عَمَلُكَ الآخِرَةِ ضُرِبَ "عُلْبَاءُ ابنُ جَحش" يومَ اليَرمُوكِ فَشَقَّ الرُّومِيُّ بَطنَهُ فَانْدَلَقَت أَمْعَائُهُ فَلَمْلَمَهَا وَ انطَلَقَ صَوبَ الْمُشرِكِينَ يُقَاتِلُهُم فَمَاتَ فى الطَّرِيق وَ هُو يَرتَجِز :

أَرْجُو بِهَا مِن رَبِّنَا ثَوَابَاً قَد كُنتُ مِمَّن أَحسَنَ الضِّرَابَا .

فَانَّمَا أَحسَنتُ اليَومَ لَا لِشَيءٍ إِلاَّ اَنَّنِى أُرِيدُ الجَنَّةَ

الَّلهُم سَهِّل لَنَا سَبِيلَنَا إِلَى الجَنَّةِ الَّلهُم أَشِمَّنَا عَبَقَ الجَنَّة فى الدُنيَا الَّلهُم ازرَع فى قُلُوبِنَا الشَوْقَ إِلى الجَنَّةِ .

إِنَّهُ عَمَلُكَ أَيُّهَا الأَرِيبُ عَمَلُكَ أَنتَ إِنَّمَا تُبتَلَى تُرِيدُ مِنَ اللهِ الجِنَانَ لِذَا لَنْ يَتَحَوَّلَ بَصَرُكَ عَلَى شَيء فى الدُنيَا فَالدِّينُ دِينُ اللهِ وَ اللهُ سَيَنصُرُهُ بِكَ أَو بِغَيرِكَ فَإِنْ مِتَّ وَ أَنْتَ فى سَبِيلِ نُصرَتِهِ فَاعْلَم أَنَّ اللهَ سَيُقَيِّدُ لَهُ مَن يَنصُرُهُ.

لَقد عَالَجَ الإسلامُ حَمَالَاتٍ تَتَرِيَّةٍ بَربَرِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَ هَجَمَاتٍ مُنَافِقِيَّةٍ مَدَنِيِّةٍ وَ مَا حَوْلَهَا وَخِيمَةٍ وَ مَعَ ذَلكَ لَمْ يُضَرْ بَلْ كَانَ كَالذَّهَبِ الإِبْرِيزِ إِذا أُدخِلَ بِشَائِبَتِهِ إلى النَّارِ خَرَجَ مِنْهَا لَامِعاً بَرَّاقاً لَا يُسَاوِيهِ مَعْدِنٌ قط وَ كَانَ الذى يُصاوِلُهُ مِمَّن كُسِرَ قَرْنُهُ وَ قُطِعَ ظَلْفُهُ

كَنَاطِحٍ صخرةً يوماً لِيُوهِنَهَا فلم يَضِرْهَا و أَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

الدين لا يُنَاطَح إنما يُنَاطَحُ أهلُهُ لِيُمحَّصُوا ثم لتُعقدَ آمَالُهُم على الجِنان أما الله عَزَّوَجَلَّ فهو ناصرٌ دينِه فَتَأَمَّل جيدا بدأ النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه هو الذى آمن و كان على ما هو عليه واثِقًا لِذَا لَمَّا اهتَزَّ أُحُد من هَولِ ما يَتَقَاطَرُ عليه من زاهِ الدمَاءِ و أطهَرِه لما جلس رسول الله وهو يقطُرُ الدم و يموت الأشرافُ الأكَابِر على فُوَّهَةِ أُحُد دفاعاً عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عندها اهتز الجبل كأنّى به اهتَزَّ فَرَقًا اهتز الجبل بقلبه رسول الله يُضرب و يَنزِفُ و يَتَقَاطَرُ دَمُهُ و معه أصحابه فضَرَبَ رسولُ الله عليه اثبُت أُحُد لَسنَا من أهل الزلزلة و لا من أهل التَّأَثُّر نحن من أهل اليَقِين.

يقول "أبو اسماعيل الهَرَوِى" :- عُرِضَ رأسى على السيفِ خمسَ مراتٍ لا يَقُولون لى ارجِع عن مَذهَبِكَ و إنما يقولون اترُك مُخَالِفُكَ (لا تُنكِر على أَحَدٍ) فَيَمُدَّ إلىَّ السيفَ خمس مرات و يُحِسُّ بِحَدِّهِ .

أَيُّهَا الإِخوة آمن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

خطَابَاتٌ واسِعَة تخاطب الشخص ذاته لِيَستَمسِك هُوَ فَبِاستِمسَاكِهِ يُنصَرُ .

آمَنَ الرَّسُولُ وَ خَدِيجَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا و قد نَضَحَ رسولُ الله نَضْحاً مِن ثَبَاتِهِ عليهم فكان العَجَبُ الذى لا أستطيعُ أنْ أَتَعَرَّضَ إِليه لِضِيقِ المَقَامِ.

لَكن ثَبَتَت خَدِيجَةُ و كان ثَبَاتُها ثَبَات للأُمَّة من بعدها حتى خَرَجت فى مَوْضِعٍ لا يُلَاحَق ثم كان ذلك مع عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ و تعلمون مَوْهِبَتَهُ و هو لم يزلْ غُلامًا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ثم كان زَيدُ بنُ حَارِثَةَ الذى كان يُدعى قَدِيمَا "بزَيدِ بنِ مُحَمَّد" .

كَان هؤلاء الأربعة فقط ، كان الاسلام أربعًا كلٌّ بِرُبُعِهِ فقط .

وَ كان مَوضِعَ الفَخَار قال ابنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ : لقد أسلمتُ يوم أسلمتُ و أنا سُدُسُ الاسلام أنا سَادِس واحد و أنا سُدس الاسلام أو قال رقمًا مثله أربعة فقط (نعم) لكنَّهم أربعةٌ حَمَلُوا دعوة أذهَلَت الدولةَ أذهلت قريشًا بِرُمَّتِهَا لا يُخَلَّطُون و لا يَنقَاضُون ولا يستَخِفُّونَ بل على ما هم عليه.

قال ابنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ (كنتُ جالسًا يوماً مع أصحاب رسول الله (و فى روايةٍ) و فينا رسولُ الله فقلنا أَيُّكُم يُسمِعُ قريشَاً القرآن (فى ناس يحتاجون أن يستمعون للقران)

رجلٌ غَابَ عن مَجلسٍ فَلَقِيَهُ بعضُ الإخوة فقال أين كنت؟

قد اشْتَقْتُ إليكَ قال فاحْتَضَنَنِي وهَشَّ و بَشَّ و قال :ظَنَنْتُكُم وُحُوشًا.

من يُسمع الناسَ القرآن ، الدعوةُ أيُّهَا الإخوة وهو مشهَدٌ سيأتى وهو مشهدٌ هامٌ،

قال :ابنُ مسعود هو ده حديث الصحابة يومها (نُريدُ أن نُسمِعَ قريشًا القرآن)

قال: ابن مسعود (أنا أُسمِعْهُمُوه).

فَقَالُوا له: على رِسْلِكَ فأنت رجلٌ لا عَشِيرة لك فَصَمَّمَ و قَام على شجرةٍ و قرأ القرآنَ و كان جميل الصوت جَهْوَرِيَّه.

فنَظَر العربُ بعضهم إلى بعض، و قالوا: كيف يحدُثُ هذا و يُتلى كلامُ محمَّد؟

فَقَاموا يَتَتَبَّعُونَه و يتَلَصَّصون حتى علموا موضع القرآن فخرجوا إليه فَرَدُّوا ابنَ مسعودٍ إلى رسول الله و أصحابِهِ كالنُّصُبِ الأحمر كَهَيئَةِ الحَجَر الذى يُذبح عليه عند الكعبة.

فما كان من ابنِ مسعود إلا أن قال : واللهِ لو أردُتُّم أن أَعُودَ عليهم بمثلِهَا غدا لفَعَلتُ .

فقالوا له :لا ، كُن مَكَانك .

لماذا يعودُ عليهم بمثلِها لأنَّه دين فلا بأس أن يَبذُلَ المرءُ فيه نفسه .

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يقدِّس نُفُوسَنَا بَذْلاً لدينِنَا.

تأملُوا أيها الاخوة شئٌ يسيرٌ ينمو شيئًا فشيئًا و رسول الله يَسقِى و عليه يَصبِر ثم يأتى المشهد الثانى و المشهد الأول ما فائدته؟ **أَلَّا تَسْتَيْئِس و لَا تَحْسُبُهَا بعَدَدٍ .**

لا أبدًا وإنما يُدبر الأمر الله عَزَّوَجَلَّ فإذا كنت على مستوى دَفعةً إلى الأمام دَفَعَكَ و إن كنت واحدًا فقط و إن كانت جماعةٌ كبيرة و ليست على المستوى تُخَذَّل و إن كانت كثيرة .

و لعل تلك الأعوادُ تشهدُ حين تُحَدِّثنا عن جنودِ الظِل فى غزوة حُنَينٍ حين قال الله عَزَّوَجَلَّ

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ لم تفعل شيئاً.

لذا يأتى **المشهد الثانى** :

أَنَّ الحريةَ بالتوحيدِ أهمُ من الكِمِّيَّةِ كانوا أربعةٌ فانضم إليهم بعد مدةٍ رجُلَان بس فقط ،

انضم أبو بكر ثم انضم بلال و عجبٌ أيها الإخوة أن ترى طبقاتِ المجتمعِ تَؤُوبُ إلى تلك الدعوة طَبَقَات المجتمع، فأبو بكر رجُل أعمالٍ غنيٌّ جِدًا كان عنده من الناس من كَثْرَةِ مَالِهِ مَن يَسُوسُونَ له مَالَه و يتاجرون له و يعملون عنده ،وكان ذا مال وَفِيرٍ جدًا، ثم تأتى لبِلَال عبدٌ مملوكٌ لِأُمَيَّةَ بِن خَلَف لا يَستطيعُ أن يحرِّكَ ساكنًا إلا بإذن مَولَاهُ .كما قلت لك الأمرُ ليس الكَمُ و إنما الأمر هو النَوعُ .

حريةُ التوحيدِ المرءُ الحرُ بتوحِيدِهِ هؤلاء يُغيِّرُونَ الأرض بِرُمَّتِهَا على قِلَّةِ عَدَدِهِم ؛ فيأتي أبو بكر رضي الله عنه رسول الله فيعرِضُ الإسلامَ عليه ، أنا رسولُ الله يُوحَى إِلَيَّ ، و رأيتُ كذا و كذا فلم يَتَرَدَّد قط (ليه ؟) حُر يَفهم وهو يُتَابِعُهُ قبل ذلك .

أَخْبَارُهُ تُنبِيكَ عَنْ أَنبَائِهِ حَتَّى كَأَنَّكَ بِالعِيَانِ تَرَاهُ

يَعلم قدره قبل ذلك، كخديجةَ لما قال :خَشِيتُ على نفسي قالت لا تخشى أبدًا كلا والله لا يُخزيك الله أبدًا (ليه) مع أن الذى حدث له أمر غريب لكنها نَظَرَت إلى طيب شمائله و عظيم خَصَائِلِه فى الماضى فعَلِمَت أنه لا يُخذل وعلمت مَنَاط الخذلان و الدفع من الله ع عَزَّوَجَلَّ و التوفيق .

و التاريخ مليءٌ برجال أفراد غَيَّروا الدنيا هو أبو بكر الذى أحكى لك يُسلِمُ اليومَ و يأتى غدًا بخمسة من العشرةِ المبشرين من هم قِمَّةُ الأُمَّة يأتى بهم من الغد.

هو أبو بكر الحُر المُستَيقِنُ المُوَحِّدُ هذه الصورة التى نُريدها و التى تأخذ زمانًا حتى تَتَبَلْوَر و تتكون، أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أن حدثت حادثةُ الردة التي هي حادثةُ إِسقَاطِ الدولة ؛حتى قال بعض المؤرخين - و كثيرا ما أذكر لك هذا (قال إن حادثةَ الرِّدَّةَ للأُمةِ الاسلامية التى حدثت فى مَهدِهَا أيام أبى بكر و بعد وفاة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لو وَقَعَت على أُمَّةٍ على امبراطورية راسخة الأركان لَتَدَاعَت أركانُها ، كانت سَقَطت امبراطورية عَتِيقة لها قدمُها و زمانُها و لها حضارتُها .

(أمال ايه؟) الذى جعلها لا تسقط أيام أبو بكر قُوةُ الجُند أبدًا؛ لكن الذى جعلها لا تَسقُط اليَقينُ و الولاءُ لهذا الدين .

خرج وقام أبو بكر كما تعلمون و قال قَولَتَهُ الشهيرة :

(والله لو خَذَلَتْنِى يمينى قَطَعْتُهَا بشِمَالى أَيَنْقُصُ الدينُ وأَنَا حَىّ ؟).

(لا يُمكن) ؛ أن يكون ده طِراز إنسان عَلَّق حياته بِدِينِهِ أَيُّها الإخوة رجل واحد غير الله به الدنيا رجل واحد كعمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُحينما يسقط على فراش الموت يقول :

(إن الإمارة فى أهل الشورى (الستة) و أما عبدالله بن عمر فلا تَقرَبُوه و استعينوا برأيه لا تُقحِمُوه فيها ثم يقولُ مُتَأسفا خَبيرًا بالرجال : والله لو كان أبو عبيدة حَيًا ما قَدَّمْتُ عليه أحدًا قط) ثم يلفُظ أنفَاسَه فيترُك الأمةَ مُهتَدِيَة رجل يزن أمة .

رجلٌ كعثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُحينما يأتى المبتدعةُ السَّفَلَةُ و يريدون قَتلَهُ و يرى أبا هريرة و الحسن و الحسين و عبد الله بن عمر وجماعة يَسلُّون السيوفَ فيقولُ لهم :

(أغمِدُوا سُيُوفَكُم فلا أُريدُ أن يُرَاق فى المسلمين مِحْجَمَةَ دماء و مع ذلك لن أترك الخلافةَ فإن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال :(إن الله سَيُلْبِسُكَ قَميصًا فلا تَنزِعْهُ حتى تلقانى) يعنى ستموت (لكن لا تنزعْ هذا حتى لا تصير فى الناس سنةٌ كلما غضب الناسُ على حاكمهم أقَالُوه) .

كما قال له ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا (إيَّاك أن تَصنَعَ فَإِنَّه لا يثبت بعد ذلك حكم قط) .

فخرج و أَغْمَدَ الناسُ سُيُوفَهُم و مَكَثَ يُصلى ركعتين و نشر القرآن يقرأ، حتى قتلوه على المصحف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل بأُمَّة .

عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت مِحنَتُهُ لا تَحُلُّ إلا بسيفٍ عَضْبٍ لا يَكَلُّ عن قتل الرجال فقاتل الناسَ بسيفٍ و قلب فكان سيفُهُ على الناس شَفُوقًا.

فيأتى يوم الجَمَل فيُوصل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا و تُنَادى على الخلق لم يكن بينى و بين علىّ إلا كَما بين المرأة و أَحْمَائِهَا و يأتى إلى مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ و يَنزِحُ إلى التحكيم الذى لم يكن لم اسْتَحَرَّ القتلَ فيه و فى أصحابِهِ ثُم مع ذلك يُقتل وهو يُوقِظُ الناس إلى الفجر فلم يأت الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى لَـمِّهِم إلا فى اللَّبِنَةِ الأخيرةِ فقط لبناء أَسَّسَهُ علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما كان عام الجماعة و اجتمعت الأمة على معاوية.

تأمل جيدًا رجلٌ واحدٌ وَزَنَ الله عَزَّ وَجَلَّ به أُمة كانت هذا البلد مصر هذه نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحفظنا و إياكم من الفتن ما ظهر منها و ما بطن .

تأمل كانت هذه البلد تَسُبُّ عثمانَ على المنابرِ كل البلد تَسُبُّه على المنابر و تَطعَنُ فيه ؛

حتى خرج رجلٌ واحدٌ هو الليثُ بنُ سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقام يعلِّمُ الناسَ بأُبَّهَتِهِ

بأُبَّهَةِ العلمِ و المالِ حتى كَفَّ أهلُ مِصرَ من سبِّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل بألف و ألف بخف

كَأَنَّهُم وُلِدُوا مِن قَبلِ أَنْ وُلِدُوا **كَأَنَّهُم كَانُوا مِن قَبلِ أَن يكُنِ**

إِنَّنَا اليومَ نُريد طِرَازًا من الرجالَ طِرَازًا ،هَيئَة ، نَوعٌ ، نَوعٌ يُقيمُ علاقتَهُ مع عَزَّ وَجَلَّ حتى يقيم الله عز وجل مَأْرَبَه.

إنها الهجرة و إنها دروسها لكننى سَأُذَيِّلُ على بعضها فى الخطبة الثانية ،

أسأل الله عزوجل أن يجعلني وإياكم ممن إذا دُعِىَ بَادَر و إذا نُهِىَ انتَهَى و عَقَلَ مَثْوَاهُ فهَدَى لنفسه ، و أقول قولى هذا و أستغفر الله العظيم لى و لكم .

[الخطبة الثانية]

الحمد الله الذى لم يزل عليمًا حكيمًا و صلى الله و سلم وبارك على محمد الذى أرسله ربه إلى الناس بشيرًا ونذيرًا و على آله و صحبه و سلم تسليمًا كثيرا .

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال الرافعىُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ-: (أخَا الشمسُ لا تخرجُ إلا وحدَهَا) كان وحيدا لكنَّهُ لِثَبَاتِهِ و هيئَتِهِ كان مع ذلك يؤثر فى أهل الجاهلية جدا و كانت الجاهلية مُتَوحشة.

و كان الإسلام يُعرض عليها كالذهب إذ يُعرضُ على مُتوحشين لا يَرونَ من الذهب إلا البَرِيق و الشُّعَاعُ لكنهم يعلمون أنهم مع ذلك لا حاجة لهم إليه،

تأمل إنسان لا حاجة له فى الذهب كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقدم لهم الإسلامَ السليمَ الذى يُصلح ما فسد فى كل الدنيا و الذى يَحسُدُكَ عَليها على العُدْوَةِ الدُّنيَا يَهُودٌ ،

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما حَسَدَتكُم يهودُ مِثلَ ما حَسَدَتكُم على ....)

و أنا أسكُت و أنا أسأَلُ إن حَسَدَتكَ اليهودُ على أى شئ فربما رأى الرجل منا حَسَدَتنَا على التوحيدِ إذ يُشركون بربهم ، حَسَدُونا على التشريعِ حَسَدُونا على الحُدود التى تَقطَعُ الفساد٠

تَنظر إلى شئ عظيم جدًا جدًا شوف قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(ما حسدتكم يهود مثل ما حَسَدَتكُم على التَّأْمِينِ ووضعِ اليُمنى على اليُسرى فى الصلاة)

(طيب) لو قام رجلٌ إلى الصلاة و قالَ الإمامُ ولا الضالين و الرجلُ لم يقل آمين بطلت صلاته لو قام و أَسْبَلَ يديه و لم يجعلها على صدره بطلت صلاته، لا أبدًا (طيب) كيف يحسدوك على هذا ؟

لأنه يشير إلى بَلْوَرَةِ التوحيد فى القلب.

آمين اللهم استجب ، فقلبك يَهْفُو إلى ربك و هذا القلب لا يُغلب و هذا القلب لا يُهزم أبدًا ووضع اليُمنى على اليسرى فى الصلاة تَذَلُّلٌ بين يدي عزيزٍ كما قال أحمد بن حنبل – رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشاهد أيها الإخوة هذا الدين السليم الذى تحسدون عليه تقوم تأتى الجاهليةُ المتوحشةُ لا تَنظُرُ إليه إلا كأنه شئ آخر فيكثرون اللَّجَجَ فيه .

(يفضل يَلُج معاك و يأخذ و يعطى و أعطينى أيه و دى لأ بلاش لأنه متوحش) متوحش هذه يعنى غير مُتَمَدِّن كالوُحوش البرية شئ لا يعرف إلا الهجوم إلا القتل إلا النهش ،

لا يعرف أبدًا أن يفكر أن ينظر ما يقال له ؛ لذا لما جاء الطُّفَيل بن عمرو قيل له: لا تدخل يُقال أن هناك ساحر يُقال له محمد لا يسمعه أحد إلا و سُحِرَ به فدخل الطفيل ووضع فى أذنه الكُرسُف (القُطن) ثم نَزَعَهُ فقال إنما أنا امرؤٌ عربي يعرف أبحار الشعر و أوزانه فإن قال شِعراً عَرَفتُه ، و إن قال سِحرًا عرفتُه فما أن سمع منه حتى آمن.

نسأل الله عزوجل أن يهدى الضال و العاصى – تأمل جيدًا ما إن سمع حتى آمن، تلك الجاهليةُ كانت تَرى هذا الإسلام بهذه الطريقة لذلك كانت تُحاربُهُ على طُولِ الخَط ليس بالحرب بالنظر و إنما الحرب التى هى بالعُنف و هذا الأمر أَصلٌ من الأُصول ينبغى أن تؤمن به أنه سَيَكَلّ عن أن يُناظرك فى دينك ، سَيَكَلّ على أن يأتى عليك بالسَقَط ، سَيَكَلّ إن كنت مُلتزمًا بدينك عندها سَيُحَارِبُكَ لأجل المُحَاربة و سَيَنطِقُ على نفسه و يشهد عليها : ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

أخرِجُوهم لأَنهم أطهار يتَطَهرون شَهِدَ القومُ على أنفسهم حين أعْوَزَهُم أن يَرُدُّوا عليه و هو أمر ينبغى أن تعلمه أيضًا و تتجهز له .

أخيرًا وأختم بها أيها الإخوة الدعوةُ إلى الله ، الدعوةُ التى كانت كـبَرقِ السماءِ يَلُوحُ فى الأُفُقِ الهُنَيْة، ثم يذهب فترى أنه لم يحدث شيئًا البتة لكن الذى لا تعرفه أنه أضاءَ لقومٍ طَريقهم فاهتَدُوا و كان يُؤَسَّسُ لَمرحَلَةٍ يَزدَهِرُ فيها الدين ، لكنه فى هذه اللحظة لم يُرى كانت دعوته تَلُوحُ و تختفى كالبرق و كان رسول الله يَبرُزُ مع ذلك ،

كان الناس يعارضُونَه و يُقاتِلُونَه و يُؤذُون أصحابه و رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبرز إليهم تأمل عجيبة هذه ، اللهم صل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدد ما ذكره الذاكرون و غفل عن ذكره الغافلون ، عملاقٌ يَدَبُّ الأرضَ بِرجلِهِ بأبى هو وأمى و نفسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الناسُ يَرتَجِفُون فى الخارج من هَولِ ما يَذُوقُونَه و رسول الله يَبرُزُ إليهم فتَلْتَفِتُ مَرَّةَ فَتَرَاه فى قلب أندية قريش (هما قاعدين حِلَق عند الكعبة و هو فى قلب أنديتهم و نائم) لا آبه لكم فكيدونى جميعا ثم لا تنظرونى ، يعني لا تأخرون كيدكم .

يجلس عند الكعبة نائم مُتَلَفِفًا مُتَوسدًا بُردَهُ ، و الحديثُ مشهور حتى أتاه خباب يسأله الناس يَحُجُون و يُكثرون و رسول الله بين الحَجِيجِ بينهم يدخل إلى خيامِهِم و يُحدثهم فعند بنى شيبة تارةً و عند بنى الطفيل أخرى و عند بطن من بطون العرب ثالثة يحدث الكل مستمسكا بدينه ؛ أبدا لم يتنازل عن شئ قال لهم بَطنٌ من بُطونهم إنما نَتْبَعُكَ و نُظَاهِرُك على نُصرتك على من يَلِيكَ من العرب إنما لا نَنصُرُك على الفُرس لا (ليه؟) بيننا و بينهم أحلاف .

فقال: بعبارة واضحة و هو المستضعَف بعبارة واضحة إن هذا الدين لا يَقُوم به إلا من حَاطَه من جميع جَوَانبه .

و تركهم و انصرف لم ينزل عن شيءِ البَتَّة البتة فى أثناء تلك المُفاوضَات و فى أثناء تلك الدعوة .

دعوةٌ أيها الاخوة فى هذا الموطن الحالِك كانت سببًا لهذا النُّورِ تراه فى كل موضع.

كان بعضُ المسلمينَ يُشنق و مع ذلك كان يدعوا شانِقَهُ إلى الله،

يقول : من أين أنت ؟ و ما ديانتك ؟ يقول أنا رجل من السِّيخ.

فيقول: هلاَّ تؤمن بالله ؟ – و حبلُ المَشنَقَةِ فى عُنُقِه !– هلاَّ تؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ؟

فما تَأَرْجَحَ جَسَدُهُ على حبلِ المشنقةِ إلا و قد نزل الرجل مؤمنٌ بالله عَزَّوَجَلَّ.

الدعوةُ التى ينبغى أن يقوم بها كل إنسان منا ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ على قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ .

قال: (و من سلك سبيل رسول الله فليدعو بدعوته لا يكونُ المرءُ امرؤٌ قَط قط رَجلًا حتى يقوم بهذا الأمر ، يُرشد الحائرَ و يَهدى الضال ، ويَعمل بما علمه من قبل ذلك) .

فيُنَادى كما قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يُدعَى فى الملكوتِ العُلوى بحبيبِ الله و خليلِ الله وواعظ لعباد الله عَزَّوَجَلَّ) أو قال كلمة نحوها.

دعوةٌ إلى الله عزوجل أيها الإخوة وإن كانت كالبرق كما قلت تَلُوحُ و تَخفى إلا أنه مع ذلك كان عليها قد تأسَّسَت تلك الدولةُ من بعد فسَارَ هؤلاء العرب على درب رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و دخل الناس فى دين الله أفواجا .

إننا لم نبعث قضاة على الناس بقدر ما بعثنا دعاةً للناس ننظرُ إليهم ونشفِقُ عليهم و نُرشدهم إلى الله عز وجل تلك ضَمَانَةُ الأُمة و بناء الإسلام و دون ذلك خَرْطُ القَتَادِ .

أيها الإخوة عام جديد و عند العام الجديد يتجدد الإيمان و النظر إليه إن الأمانة نزلت فى جِذرِ قلوبِ الرجال كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلموا من القرآن و علموا من السنة ثم حدَّث رسول الله عن رَفعِهَا ، فالإيمان يزيدُ و ينقُصُ فانظر إلى عامِكَ المنصَرِمِ و استقبلْ عامَكَ الجَدِيدَ بنظَرٍ جديدٍ ماذا ستصنع فى العامِ الهجرىِّ المقبل ؟ و قد أظلك شهر الله الكبير شهر الله المحرم الذى ينبغى أن تَدخُلَهُ وأنت على حالةٍ مُرْضِيَةٍ لله عَزَّوَجَلَّ إنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أسلم قال جبريل

(كَبَّرَ أهلُ السماء كما كَبَّرتَ يا رسول الله و أصحابك من أهل الأرض) فكيف سيدخل عليك عامٌ هجرىٌّ جديدٌ ؟ و كيف ستكونُ حالةُ السماءِ حين ما يَؤُوبُ التائبُ و يُفِيقُ الغافل و يَعبُد الله عَزَّوَجَلَّ من لم يكن يعبده ؟

نسأل الله عزو وجل أن يُذَلِّلَ لنا سُبُل عبادَتِهِ ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، اللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم أحرِز نفوسنـا ، اللهم أحرز نفوسنـا ، اللهم احمى ظهورنا ، اللهم أحصن دماءنا ، اللهم احمى المستضعفين من المؤمنين ، اللهم احمهم بحمايتك واكلأْهُم ، بكلأَتِكَ ، اللهم سلِّمنَا وسلِّمهُم أنت أرحم الراحمين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا ، عافنا وأعفو عنا ، اللهم عافنا وأعفو عنا ، اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب تجيب الدعوات وأنت أرحم الراحمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ والحمد لله رب العالمين وأقم الصلاة .